

المعالم القرآنية في تعزيز الأخلاق الكريمة للأسرة المسلمة

من خلال سورة التحريم

الدكتور/ محمد عبد الله موسى ابراهيم

أستاذ مساعد بكلية الدعوة الإسلامية

جامعة أم درمان الإسلامية - السودان

mohamad.ama1971@gmail.com

محتوى البحث

رقم الصفحة	الموضوع	٢
٣	الإطار العام للبحث	١
٥	مستخلص البحث	٢
٦	المبحث الأول: الأخلاق والأسرة - تعريفات ومفاهيم عامة	٣
٩	المبحث الثاني: إضاءة حول سورة التحريم	٤
١٥	المبحث الثالث: معالم في تعزيز الأخلاق الكريمة للأسرة	٥
٢٢	المبحث الرابع: الحفاظ على تماسك الأسرة من خلال التواصل الدعوي	٦
٢٥	النتائج	٧
٢٧	التوصيات	٨
٢٨	قائمة المصادر والمراجع	٩

الاطار العام للبحث

تمهيد:

لما كان القرآن الكريم كتاب هداية وإصلاح لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد، أحببت أن أتلمس المعالم القرآنية في تعزيز الأخلاق الكريمة للأسرة المسلمة وذلك من خلال دراسة سورة التحريم التي اشتملت على معالم تربوية مباركة تتعلق بالأسرة المسلمة.

لقد حفلت سورة التحريم بالكثير من الآداب الواجب توخيها في الحياة الزوجية مع التذكير بأهمية الحفاظ على تماسك الأسرة بالنصح والتوجيه وحمايتها من النزاع بامثال الأخلاق الكريمة والقيم الفاضلة الأمر الذي ينعكس على المجتمع المسلم بالصورة التي تحقق الطمأنينة والسعادة.

أهمية البحث:

يكتسب هذا البحث أهميته في تعلقه بكلام الله تعالى، إذ أن القرآن الكريم يعد من مصادر المعرفة المباركة والموثوقة، بالإضافة إلى كونه حافل بتجارب الدعاة الصالحين من الأنبياء وغيرهم ممن اشتملت تجاربهم على الحكمة والصدق، ثم إن الأسرة المسلمة تعد نواة المجتمع الصالح المصلح الذي يقوم ببسط مكارم الأخلاق على بصيرة وعلم. ولذلك جاء هذا البحث مكتسباً أهميته من هذه المعاني.

أهداف البحث:

تهدف الدراسة لتحقيق الآتي:-

١. كيفية تعزيز الأخلاق الكريمة للأسرة المسلمة
٢. إبراز المعالم القرآنية في الحفاظ على الأسرة المسلمة من خلال سورة التحريم
٣. الإفادة من القصص القرآني في استكشاف الوسائل والأساليب المناسبة للتربية الدعوية للأسرة المسلمة.

تساؤلات البحث:

١. ما المعالم القرآنية في الحفاظ على الأسرة المسلمة؟
٢. ما التدابير الحكيمة في الحفاظ على الرابطة الزوجية؟
٣. ما الكيفية التي يمكن اتباعها للإفادة من المعالم القرآنية في تعزيز الأخلاق الكريمة للأسرة المسلمة؟

منهج البحث:

يعتمد الباحث المنهج الوصفي التحليلي والاستنباطي ليصل إلى الإجابة على تلك الأسئلة.

هيكل البحث:

- المبحث الأول: الأخلاق والأسرة- تعريفات ومفاهيم عامة
- المبحث الثاني: إضاءة حول سورة التحريم
- المبحث الثالث: معالم في تعزيز الأخلاق الكريمة للأسرة المسلمة
- المبحث الرابع: الحفاظ على تماسك الأسرة من خلال التواصل الدعوي

مستخلص البحث

يتناول هذا البحث المعالم القرآنية في تعزيز الأخلاق الكريمة للأسرة المسلمة من خلال سورة التحريم وقد اشتمل البحث على ثلاثة مباحث ابتدأتها بتعريفات عامة عن الأخلاق والتعريف بالأسرة وأهمية بناءها، وأتبع ذلك بإضاءة عامة حول سورة التحريم وما اشتملت عليه من توجيهات للأمة على ضوء ما وقع في بيوت رسول الله صلى الله عليه وسلم وبين أزواجه، الأمر الذي يؤكد ضرورة قيام الرجل بمسؤوليته تجاه أسرته بإلزامها أمر الله تعالى، والعمل على وقاية الأهل والأولاد، وذلك بتأديبهم وتعليمهم، كما أن المرء لا يسلم إذا فرط في القيام بما أمر الله به في نفسه وأهله وولده وهذا يعني بسط مكارم الأخلاق والقيم الفاضلة في محيط الأسرة حتى يعتاد أفرادها بأن التزام الآداب والأخلاق الإسلامية قضية دينية تعبدية كما أن الوعي بهذه القضية والتفاعل معها يدل على قدرة الأمة لمواجهة تحديات الواقع الحضاري الذي تعيشه.

المبحث الأول: الأخلاق والأسرة - تعريفات ومفاهيم عامة

أولاً: التعريف بالأخلاق:

الأخلاق في اللغة: جمع خلق، والخلق بضم اللام وسكونها: الطبع والسجية، والخلق الخليفة أعني الطبيعة^(١)، وفي التزويل قال تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾^(٢) وهو هنا الأدب العظيم كما يقول الطبري: (يقول تعالى ذكره لنبه محمد صلى الله عليه وسلم: وإنك يا محمد لعلی أدب عظیم، وذلك أدب القرآن الذي أدبه الله به، وهو الإسلام وشرائعه)^(٣). وقال الماوردي: في الخلق العظيم ثلاثة أوجه: أحدها: أدب القرآن والثاني: دين الإسلام، والثالث: الطبع الكريم وهو الظاهر.^(٤)

١- الأخلاق في الاصطلاح:

من خلال التدقيق في الدلالة اللغوية لكلمة (خلق) نجد أن الأخلاق يتعلق بها وصف الحسن والقبح، كما أنها يمكن أن تكون طبيعة وسجية في النفس ويمكن اكتسابها كذلك عن طريق الدربة والممارسة، فمن نظر إلى كون الأخلاق طبيعة في النفس عرف الخلق بأنه: (عبارة عن هيئة للنفس راسخة يصدر عنها الأفعال بسهولة ويسر من غير حاجة إلى فكر وروية)^(٥). وهذا التعريف يفيد أن الأخلاق قائمة بالنفس متعلقة بها فما صدر عن النفس من فعل مستحسن أو مستقبح يرجع فيه إلى حكم العقل والشرع، ومن نظر إلى أن الاخلاق مكتسبة عرف الخلق بأنه: (ما يأخذ به الإنسان نفسه من الآداب، سمي بذلك لأنه يصير كالحلقة فيه)^(٦).

(١) ابن منظور، لسان العرب، دار صادر، بيروت، ط الأولى ج ١٠ ص ٨٥.

(٢) سورة القلم رقم الآية ٤.

(٣) أبو جعفر الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن، مؤسسة الرسالة، ط الأولى، ٢٠٠٠ م ج ٢٣ ص ٨٢٥.

(٤) الماوردي، النكت والعيون، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ج ٦ ص ٦١.

(٥) الجرجاني التعريفات دار الكتاب العربي، بيروت ط الأولى، ١٤٠٥.

(٦) الماوردي، النكت والعيون، مصدر سابق، ج ٦ ص ٦١.

ويعرّف ابن مسكويه الأخلاق بأنها (حال للنفس داعية لها إلى أفعالها من غير فكر ولا روية، منها ما يكون طبيعياً من أصل المزاج، كالإنسان الذي يحركه أدنى شيء نحو غضب ويهيج من أقل سبب، وكالإنسان الذي يجبن من أيسر شيء، أو كالذي يفرغ من أدنى صوت يطرق سمعه، أو يرتاع من خبر يسمعه، وكالذي يضحك ضحكا مفرطاً من أدنى شيء يعجبه، وكالذي يغتم ويحزن من أيسر شيء يناله. ومنها ما يكون مستفاداً بالعادة والتدرب، وربما كان مبدؤه بالروية والفكر، ثم يستمر أولاً فأولاً حتى يصير ملكة وخلقاً^(١). وهذه التعاريف كلها متقاربة وتتفق في أن الخلق جبلة مع إمكانية اكتسابه لمن لم يتصف به طبيعة.

المطلب الثاني: الأسرة في الإسلام

أولاً: مفهوم الأسرة في اللغة والاصطلاح

الإسار بالكسر مصدر أسرته أسراً وإساراً وهو أيضاً الحبل والقد الذي يشد به الأسير، وأسرة الرجل عشيرته ورهطه الأذنون لأنه يتقوى بهم، والأسرة أيضاً تعني الدرع الحصينة، والأسر القوة والحبس، ويقال للأسير من العدو أسير لأن آخذه يستوثق منه بالإسار^(٢)، وجاء في القرآن الكريم قوله تعالى: ﴿ تَخُنْ خَلْقَنَّهُمْ وَشَدَدْنَا أَسْرَهُمْ وَإِذَا شِئْنَا بَدَلْنَا أَمْثَلَهُمْ بَدِيلًا ﴾^(٣) أي شددنا خلقهم^(٤).

أما الأسرة في اصطلاح علماء الاجتماع فهي: (بناء اجتماعي يتكون من جماعة من الناس الذين يرتبطون عن طريق روابط الدم أو الزواج)^(٥). ويقصد بها في العرف الإسلامي: مجموعة من القرابة من ذوي العصبات والأرحام، وتبدأ بالأسرة الصغيرة

(١) ابن مسكويه، تهذيب الأخلاق، دار الكتب العربية، بيروت، ط ٢، ١٩٨١م، ص ٤

(٢) ابن منظور، لسان العرب، دار صادر، بيروت، ط الأولى ج ٤ ص ١٩. وابن الأثير، النهاية في غريب الحديث والأثر، تحقيق: طاهر أحمد الزاوي، محمود محمد الطناحي المكتبة العلمية، بيروت، ١٣٩٩هـ - ج ١ ص ٤٨

(٣) سورة الإنسان رقم الآية ٢٨

(٤) ابن قتيبة، غريب القرآن، دار الكتب العلمية ١٣٩٨هـ ص ٥٤٠

(٥) عصام منصور، المدخل إلى علم الاجتماع، دار الخليج، عمان، ط الأولى، ٢٠٠٨م، ص ١٠٨

المكونة من الزوج والزوجة وأبناهما، ثم الكبيرة أو الممتدة والتي تشمل الآباء والأمهات والأجداد والجدات والأعمام والعمات والأخوال والخالات وأبناء هؤلاء وأولئك^(١).

ثانياً: أهمية بناء الأسرة

يشير مفهوم الأسرة إلى معاني الاستيثاق والرباط والمنع من التفلت إلى جانب التماسك والقوة وكلها من المعاني المطلوبة في بناء الأسرة لأن الإسلام يعتبر الأسرة النواة الأولى للمجتمع والجذر الذي تثبت به والجزء الذي تقوم عليه فإن صلحت صلح وإن فسدت فسد بفسادها^(٢). والأسرة بهذا المعنى يتفق مفهومها مع الفطرة السليمة انطلاقاً من تليتها لحاجة الإنسان في الأناش والشمور بالأمان وتحميد معاني الترابط والتماسك والتواد، وهي آية من آيات الله تعالى، قرن تكوينها بتكوين العالم أجمع^(٣) قال تعالى: ﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ (٤) ثم قال تعالى: ﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَخْلَفَ السَّنِينَ وَالْوَيْلُكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِلْعَالَمِينَ ﴾ (٥).

وإذا كان الغالب على المنهج القرآني في تناوله للأحكام الشرعية اللجوء إلى الإجمال دون التفصيل، فإنه في تناوله لأحكام الأسرة كثيراً ما يلجأ إلى التفصيل، كما في موضوع المحرمات من النساء وأحكام الطلاق وتبيان فرائض أهل الاستحقاق في الميراث الخ... وفي هذا دلالة واضحة على مدى عناية الإسلام بالأسرة، وعلى أهمية دورها في

(١) محمد زين الهادي العرماني ، مفهوم الأسرة في الإسلام، هيئة علماء السودان - سلسلة الدراسات الفكرية

٢٠٠٨م ص ٨

(٢) المصدر نفسه ص ٨

(٣) محمد الغزالي، مشكلات في طريق الحياة الإسلامية، دار نهضة مصر، ط الأولى، ص ٤٣

(٤) سورة الروم رقم الآية ٢١

(٥) سورة الروم رقم الآية ٢٢

منظوره^(١). ولأنهما تعدد الأساس الذي يقوم عليه بناء شخصية الطفل يقول عليه الصلاة والسلام: (ما من مولود إلا يولد على الفطرة ، فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه)^(٢).

المبحث الثاني: إضاءة حول سورة التحريم

المطلب الأول: المقاصد العامة لسورة التحريم

سورة التحريم مدنية وهي اثنا عشرة آية وقد ذكر أكثر من قول في سبب نزول صدر هذه السورة^(٣) يقول الطبري: (واختلف أهل العلم في الحلال الذي كان الله جل ثناؤه أحله لرسوله، فحرّمه على نفسه ابتغاء مرضاة أزواجه، فقال بعضهم: كان ذلك مارية مملوكته القبطية، حرّمها على نفسه بيمين أنه لا يقربها طلباً بذلك رضا حفصة بنت عمر زوجته، لأنها كانت غارت بأن خلا بها رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في يومها وفي حجرتها... وقال آخرون: كان ذلك شراباً يشربه، كان يعجبه ذلك)^(٤). ثم ساق الروايات التي وردت في هذا الواقعة، وعقب عليها بقوله: (والصواب من القول في ذلك أن يقال: كان الذي حرّمه النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ على نفسه شيئاً كان الله قد أحله له، وجائز أن يكون ذلك كان جاريتته، وجائز أن يكون شراباً من الأشربة، وجائز أن يكون كان غير ذلك، غير أنه أي ذلك كان، فإنه كان تحريم شيء كان له حلالاً فعاتبه الله على تحريمه على نفسه ما كان له قد أحله، وبين له تحلة يمينه في يمين كان حلف بها مع تحريمه ما حرّم على نفسه)^(٥).

(١) أمين نعمان الصلاحي، من وسائل القرآن في إصلاح المجتمع ، كتاب الأمة، العدد (١٢٧) ، قطر، ١٤٢٩ هـ، ص ٨٧، ٨٨

(٢) أخرجه البخاري، كتاب الجنائز، باب ما قيل في أولاد المشركين، رقم الحديث (١٣١٩)

(٣) البغوي، معالم التنزيل في تفسير القرآن، دار إحياء التراث العربي - بيروت ط الأولى ، ١٤٢٠ هـ ج ٥ ص ١١٥ وما بعدها

(٤) أبو جعفر الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن، مصدر سابق ج ٣٢ ص ٤٧٥.

(٥) المصدر السابق ج ٢٣ ص ٤٨٠

وهذا المعنى جاءت السورة بتقريره أن من حلف على يمين فرأى حثتها خيرا من برها أن يكفر عنها ويفعل الذي هو خير^(١) وقد جاء التصريح بهذا من حديث أبي موسى الأشعري قال أتيت النبي صلى الله عليه وسلم في رهط من الأشعريين نستحمله فقال : والله لا أحملكم وما عندي ما أحملكم عليه، قال فلبثنا ما شاء الله ثم أتى بإبل فأمر لنا بثلاث ذود غر الذرى فلما انطلقنا قلنا - أو قال بعضنا لبعض - لا يبارك الله لنا أتينا رسول الله صلى الله عليه وسلم نستحمله فحلف أن لا يحملنا ثم حملنا. فأتوه فأخبروه فقال: ما أنا حملتكم ولكن الله حملكم وإني والله إن شاء الله لا أحلف على يمين ثم أرى خيرا منها إلا كفرت عن يميني وأتيت الذى هو خير^(٢).

واشتملت السورة كذلك على تنبيه نساء النبي صلى الله عليه وسلم إلى أن غيره الله على نبيه أعظم من غيرتهن عليه وأسمى مقصدا، وهذا التنبيه يفيد ضرورة حسن المعاشرة مع الزوج لما في ذلك من استقرار الأسرة وتماسكها، كما أن السورة نوهت بشأن تربية الأولاد والزوجات لأن ذلك يؤدي إلى صلاح المجتمع، وفي الأمر الوارد في السورة بجهد الكافرين والمنافقين نداء ثان للنبي صلى الله عليه وسلم يأمره بإقامة صلاح عموم الأمة بتطهيرها من الخبثاء^(٣). وبعد ذكر وصفي الجنة والنار ختمت السورة بضرب مثلين من صالحات النساء وضدهن لما في ذلك من العظة لنساء المؤمنين ولأمهاتهم^(٤).

المطلب الثاني: الوحدة الموضوعية لسورة التحريم

توطئة:

لقد نزل القرآن الكريم على أكمل وجه من التناسق والتشابه، فالآيات يصدق بعضها بعضاً، والسورة تكمل أختها في جودة التعبير وتماسك الموضوع، والكلام إنما يوصف

(١) ابن عاشور، التحرير والتنوير، الدار التونسية، ١٩٨٤ مصدر سابق، ج ٢٨ ص ٣٤٥

(٢) أخرجه مسلم، كتاب الأيمان، باب ندب من حلف يميناً فرأى غيرها خيراً منها أن يأتي الذى هو خير ويكفر عن يمينه، رقم الحديث (٤٣٥٢)

(٣) ابن عاشور، التحرير والتنوير، الدار التونسية، ١٩٨٤ مصدر سابق، ج ٢٨ ص ٣٧٢

(٤) المصدر نفسه ج ٢٨ ص ٣٤٥

بالفصاحة إذا اشتمل على قوة التأليف وسلم من تنافر الكلمات وتعقيد ألفاظها مع فصاحتها^(١).

والمندبر لآيات القرآن الكريم يتضح له مدى تناسب ترتيب الآيات والسور، بمعنى أن القارئ للقرآن الكريم والمندبر لمعانيه يلحظ توافقاً وتشابهاً بين آياته وترتيب سورته من حيث إرادة المعنى المطلوب، وهذه حقيقة نبه القرآن الكريم عليها يقول تعالى: ﴿اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُتَشَابِهًا مَثَانِي نَقَّشَ مِنْهُ جُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ ذَلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُضَلِلْ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ﴾^(٢) يقول أبو جعفر الطبري: "اللَّهُ نَزَلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا" يعني به القرآن "مُتَشَابِهًا" يقول: يشبه بعضه بعضاً، لا اختلاف فيه، ولا تضاد^(٣) وهذا المعنى يفيد بوجود الوحدة الموضوعية في القرآن الكريم والتي هي (باب من إعجاز القرآن، الذي هو لباب هذه العلوم كلها، ومنتهاها جميعها، إذ إن جميعها يفضي في النهاية إلى إثبات حقيقة كونه من عند الله... ومن ثم تقوم الحجة... لما لهذا الكتاب من مزية استمرار حجته على العالمين حتى قيام الساعة).^(٤) يقول تعالى: ﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَذَا الْقُرْآنِ لِيَذَكَّرُوا وَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا نُفُورًا﴾^(٥) والمعنى يخبر تعالى أنه صرف لعباده في هذا القرآن أي:

(١) الخطيب القزويني، الإيضاح في علوم البلاغة، دار إحياء العلوم، بيروت. ط، الرابعة، ١٩٩٨م، ص ٩.

(٢) سورة الزمر رقم الآية ٢٣

(٣) أبو جعفر الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن، مصدر سابق ج ٢١ ص ٢٧٩

(٤) عادل بن محمد أبو العلاء، مصابيح الدرر في تناسب آيات القرآن الكريم والسور، الناشر الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة. ص ٢٨

(٥) سورة الإسراء رقم الآية ٤١

نوع الأحكام ووضحها وأكثر من الأدلة والبراهين على ما دعا إليه، ووعظ وذكر لأجل أن يتذكروا ما ينفعهم فيسلوكه وما يضرهم فيدعوه).^(١)

ومع هذا التنوع في الأحكام والأدلة وتعدد الأغراض والمقاصد يجد القارئ في تناسب آيات القرآن الكريم ما يشده للمتابعة وعدم السماح لذهنه بالشروء بعيداً، وذلك لقوة الكلام وحسن تأليفه وجودة تركيبه، وهذه إشارات توضح تناسب سورة التحريم لما قبلها وما بعدها ثم يبان تناسب آيات السورة نفسها.

أولاً: التناسب بين سورة التحريم وما قبلها :-

تأتي سورة التحريم بعد سورة الطلاق حسب ترتيب المصحف ويمكن ملاحظة وجه المناسبة بينهما من خلال الآتي:^(٢)

١ - دعت سورة الطلاق إلى حسن معاشرة النساء والقيام بحقوقهن، وفي سورة التحريم ورد خبر زوجات النبي صلى الله عليه وسلم وما حصل منهن معه، ولا شك أن هذا فيه تعليم للأمة أن يجذروا أمر النساء، وأن يعاملوهن بسياسة اللين كما عاملهن النبي صلى الله عليه وسلم بذلك، وأن ينصحوهن نصحاً مؤثراً.

٢ - كل من سورة الطلاق والتحريم افتتح بخطاب النبي صلى الله عليه وسلم.

٣ - أن سورة الطلاق في خصام نساء الأمة، وسورة التحريم في خصومة نساء النبي صلى الله عليه وسلم، وقد أفردين بالذكر تعظيماً لمكانتهن.

وتأسيساً على هذا فإنه لا يخفى وجه التآخي بين السورتين في التأكيد على قضية تربية الأسرة وصيانتها، كما أن صيغة الخطاب في السورتين وتنوع أساليبه بين الترغيب والترهيب والقصص وضرب المثل يفيد التأكيد بضرورة مراعاة هذا الخطاب وأهميته. ومن

(١) السعدي، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، ص ٤٥٨.

(٢) المراغي، معالم التنزيل في تفسير القرآن، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر ط الأولى -

١٩٤٦ م ج ٢٨ ص ١٥٤.

هنا يرى بعض العلماء أن سورة التحريم كالتمة لسورة الطلاق وذلك لما بينهما من التناسب الكبير^(١).

ثانيا: التناسب بين سورة التحريم وما بعدها :-

ويظهر وجه المناسبة أيضاً بين سورة التحريم وسورة الملك التي جاءت بعدها في ترتيب المصحف من خلال الآتي :-

١ - التأكيد على الإيمان بالقدر وأن الله جل ثناؤه هو الذي يقدر السعادة والشقاء وفق حكمته وعلمه حيث ضرب مثلاً للكفار بامرأتين قُدر لهما الشقاء مع كونهما كانتا تحت عبيدين صالحين، ومثلاً للمؤمنين بأسية ومريم وقد كتب لهما السعادة وإن كان أكثر قومهما كفاراً للدلالة على إحاطة علمه عز وجل وقهره وتصرفه في ملكه على ما سبق به قضاؤه. وهو المعنى الذي افتتحت به سورة الملك.^(٢)

٢ - تكامل المعاني بين السورتين ويتجلى ذلك في الآتي :-

أ- التأكيد على سعة علم الله وإحاطته بخلقه جل ثناؤه حيث قال: ﴿وَإِذْ أَسْرَأَ النَّبِيُّ إِلَى بَعْضِ أَزْوَاجِهِ حَدِيثًا فَلَمَّا نَبَأَتْ بِهِ وَأَظْهَرَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ عَرَفَ بَعْضَهُ، وَأَعْرَضَ عَنْ بَعْضٍ فَلَمَّا نَبَأَهَا بِهِ قَالَتْ مَنْ أَنْبَأَكَ هَذَا قَالَ نَبَأَنِي الْعَلِيمُ الْخَيْرُ﴾^(٣) وهذا بيان عملي مشاهد يدل على سعة علمه واطلاعه، يقابله قوله تعالى في سورة الملك: ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾^(٤).

(١) السيوطي، أسرار ترتيب القرآن دار الفضيلة للنشر والتوزيع، ص ١ ٤٥.

(٢) المراغي، معالم التنزيل في تفسير القرآن، مصدر سابق ج ٢٨ ص ٣

(٣) سورة التحريم رقم الآية ٣

(٤) سورة الملك رقم الآية ١٤

ب-الترهيب بذكر النار والتحذير منها جاء ذلك في سورة التحريم في قوله تعالى:

﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا قَوًّا أَنفُسِكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ

غَلَاطٌ شِدَادٌ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾^(١) وفي سورة الملك جاءت

الآيات تصف حال النار أيضاً قال تعالى: ﴿إِذَا الْقُؤُوقُ فِيهَا سَمِعُوا لَهَا شَهِيقًا وَهِيَ تَفُورٌ تَكَادُ

تَمَيِّزٌ مِّنَ الْغَيْظِ كُلَّمَا أُلْقِيَ فِيهَا فَوْجٌ سَأَلَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ﴾^(٢).

ثالثاً: التناسب بين أول سورة التحريم وآخرها:-

اشتملت الآيات الواردة في مقدمة سورة التحريم على موعظة زوجتي النبي صلى الله عليه

وسلم الكريمتين رضي الله عنهما حيث كانتا سبياً في تحريم النبي صلى الله عليه وسلم على

نفسه ما يحبه، فعرض الله عليهما التوبة، وعاتبهما على ذلك(٣) قال تعالى: ﴿إِنْ نُؤَبَّأَ إِلَى

اللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا وَإِنْ تَظَاهَرَا عَلَيْهِ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ مَوْلَاهُ وَجِبْرِيلُ وَصَلِحُ الْمُؤْمِنِينَ

وَالْمَلَائِكَةَ بَعْدَ ذَلِكَ ظَهِيرٌ﴾^(٤)، والسورة تؤذن بالختام نجد هذا المعنى موجوداً والإشارة

إليه حاضرة قال تعالى: ﴿ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ كَفَرُوا أُمَّرَاتَ نُوحٍ وَأُمَّرَاتَ لُوطٍ

كَانَتَا مَحْتَّ عَبْدَيْنِ مِّنْ عِبَادِنَا صَالِحِينَ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ اللَّهِ شَيْئًا

وَقِيلَ ادْخُلَا النَّارَ مَعَ الدَّٰخِلِينَ﴾^(٥).

(١) سورة التحريم رقم الآية ٦

(٢) سورة الملك رقم الآيات ٥-٦-٧

(٣) السعدي، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، مصدر سابق — ص ٨٧٢

(٤) سورة التحريم رقم الآية ٤

(٥) سورة التحريم رقم الآية ١٠

لقد ذهب كثير من المفسرين إلى أن هذه الآية لها متعلق كبير بما ورد في أول السورة وذكروا أن هذا المثل تعريض لحفصة وعائشة رضي الله عنها، بمعنى أنهما إن صدرت منهما معصية، لن يفيدهما كونهما من زوجات النبي صلى الله عليه وسلم لدفع العذاب، ومنع القول بالتعريض بعضهم باعتبار أن المثل ضرب للذين كفروا، ودُفع هذا الاعتراض بأن دلالة التعريض لا تنافي اللفظ الصريح، ومن لطائف التقييد بقوله تعالى: (للذين كفروا) أن المقصد الأصلي هو ضرب المثل للذين كفروا، وذلك احتراساً من أن يحمل التمثيل على المشابهة من جميع الوجوه والاحتراس بكثرة التشبيهات ومنه تجريد الاستعارة.^(١) وهكذا تبدو السورة وكأنها تعالج موضوعاً واحداً.

المبحث الثالث: معالم في تعزيز الأخلاق الكريمة للأسرة

عرضت سورة التحريم طرفاً من حياة النبي صلى الله عليه وسلم مع زوجاته رضي الله عنهن وهذه الوقائع التي جاءت في صدر السورة تعد جزءاً من الانفعالات والاستجابات الإنسانية المتعلقة بالحياة الزوجية، وقد أشارت الآيات إلى واقعة التحريم مع توضيح انعكاسها على النبي صلى الله عليه وسلم، ومن ثم جاءت التوجيهات العامة للأمة على ضوء ما وقع في بيوت رسول الله صلى الله عليه وسلم وبين أزواجه.^(٢)

ويمكن الإشارة إلى هذه التوجيهات من خلال الجوانب التالية:-

أولاً: اتخاذ التدابير الحكيمة في الحفاظ على الأسرة

لقد أشارت سورة التحريم أنه ليس عيباً ولا نقصاً سعي الزوج في طلب رضاء زوجته نظراً لما يحققه هذا الرضا من مصالح تفضي إلى تماسك الأسرة، إلا أن الذي يجب مراعاته حال ابتغاء الرضا هو أن يكون متوافقاً مع روح الشرع لأنه ليس لأحد أن يرضي

(١) ابن عاشور، التحرير والتنوير، الدار التونسية، ١٩٨٤. ج ٢٨ ص ٣٧٤

(٢) مجلة البيان، العدد ١٦٦ لعام ٢٠٠١ م ص ١٠٥

أحداً بأمر لا مصلحة له فيه ولا للذي يسترضيه^(١)، قال تعالى: ﴿يَأْتِيهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحْرَمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ تَبَيَّنَ مَرَضَاتَ أَزْوَاجِكَ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾^(٢) والناظر في الآية يجد أن العتاب ورد على تحريم شيء كان حلالاً للنبي صلى الله عليه وسلم فعاتب الله جل وعلا نبيه على تحريم ما كان قد أحله له^(٣). ومن هنا جائز أن نقول إن العتاب كان متوجهاً للوسيلة التي اتبعت لتحقيق الرضا الذي يكون به تماسك الأسرة لا في ابتغاء الرضا ذاته لأن قوله تعالى: (تَبَيَّنَ مَرَضَاتَ أَزْوَاجِكَ) عذر للنبي صلى الله عليه وسلم فيما فعله من أنه أراد به خيراً وهو جلب رضا الأزواج لأنه أعون على معاشرتهن^(٤).

ولذا يعد رضا الزوجة أو الزوجات من الأمور التي تدفع باتجاه استقرار الأسرة والحفاظ عليها، ومن الحكمة اتخاذ التدابير التي تسد باب النزاع أو تؤدي إلى تحجيمه بين الزوجين لئلا يتطور الأمر إلى شقاق يذهب بالمودة والرحمة بينهما، وهذا الأمر على بدايته قد يستنكف البعض عن فعله بدعوى منافاته للحزم، ونتيجة لذلك قد تستحكم المغاضبة وتتعدى آثار النزاع وتتسع في داخل الأسرة.

ثانياً: ضوابط مراعاة الغيرة

يلاحظ أن ابتغاء الرضا الذي أشارت إليه الآية الكريمة كان بدافع مراعاة الغيرة، ومن الواضح أن غيرة الزوجات تحتاج لحكمة تخفف من وطأها حتى لا ينعكس أثرها السالب على الأسرة، وفي سبيل ذلك يحتاج الزوج لتلك التوجيهات التي أرشدت لها الآية في كيفية التعامل مع شدة الغيرة، وهذا الملحظ يفهم من سياق قصة التحريم التي تؤكد أن اتقاء تبعات هذه الغيرة يجب ألا يفوت به حق شرعي. بمعنى أنها إذا كانت تهضم حقاً من

(١) ابن عاشور، التحرير والتنوير ج ٢٨ ص ٣٤٥، الدار التونسية، ١٩٨٤.

(٢) سورة التحريم رقم الآية ١

(٣) أبو جعفر الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن، ج ٢٣ ص ٤٨٠.

(٤) انظر ابن عاشور، التحرير والتنوير ج ٢٨ ص ٣٤٧، مصدر سابق.

الحقوق التي تتعلق بأحد طرفي الحياة الزوجية فليس من الواجب مراعاتها، وكل اجتهاد في هذا الباب ينبغي موافقته للشرع وإلا جاز إبطاله وهذا التوجيه الكريم يوميء إلى ضبط ما يراعى من الغيرة وما لا يراعى^(١).

ثالثاً: حسن إدارة الموقف عند وقوع الخطأ من الزوجة

ومن التوجيهات التي نلاحظها في سورة التحريم هي العمل على حسن إدارة الموقف عند وقوع الخطأ من الزوجة وبسط حسن التعامل معها انطلاقاً من الآتي:

١-الرفق بها عند وقوع الخطأ: وهذا المعنى نجد الإشارة إليه في قوله تعالى ﴿وَإِذْ أَسْرَأَ النَّبِيُّ إِلَى بَعْضِ أَزْوَاجِهِ حَدِيثًا فَلَمَّا نَبَأَتْ بِهِ وَأَظْهَرَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ عَرَفَ بَعْضَهُ، وَأَعْرَضَ عَنْ بَعْضٍ فَلَمَّا نَبَأَهَا بِهِ قَالَتْ مَنْ أَنْبَأَكَ هَذَا قَالَ نَبَأَنِي الْعَلِيمُ الْخَيْرُ﴾^(٢) قال كثير من المفسرين: الزوجة المعنية هي حفصة أم المؤمنين رضي الله عنها، أسر لها النبي صلى الله عليه وسلم حديثاً، وأمر أن لا تخبر به أحداً، فحدثت به عائشة رضي الله عنهما وكانتا متصافيتين، وأطلع الله نبيه صلى الله عليه وسلم على أن حفصة أخبرت عائشة بما أسر إليها^(٣). وبالرغم من ذلك فإن تعامل النبي صلى الله عليه وسلم مع هذا الخطأ واحتواء آثاره يفيد عدم التسرع في المعالجة فقوله تعالى: (عَرَفَ بَعْضَهُ، وَأَعْرَضَ عَنْ بَعْضٍ) يدل على كمال خلق النبي صلى الله عليه وسلم إذ عرفها ببعض ما قالت، وأعرض عن بعضه، كرمًا منه صلى الله عليه وسلم، وحلمًا^(٤).

(١) انظر ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج ٢٨ ص ٣٤٦، مصدر سابق.

(٢) سورة التحريم رقم الآية ٣.

(٣) السعدي، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، مصدر سابق ص ٨٧٢، وابن عاشور، التحرير والتنوير ج ٢٨ ص ٣٥١، مصدر سابق.

(٤) المصدر نفسه ص ٨٧٢.

ويستفاد من قوله تعالى: (قَالَتْ مَنْ أَنْبَأَكَ هَذَا قَالَ نَبَأَنِيَ الْعَلِيمُ الْخَبِيرُ) ^(١) حاجة الرابطة الزوجية لإرساء مبدأ الحوار ومراعاته خاصة أن السياق في الآية اشتمل على جملة حقوق وآداب يجب الأخذ بها في معالجة قضايا الأسرة وذلك لتوفر السلامة بين الطرفين ولاتحاد المقصد بينهما، وتكمن أهمية الحوار في أنه يخاطب في الإنسان عقله وروحه ويجعله يدرك خطأه بنفسه، بالإضافة إلى هذا نجد أن مادة (القول) وما اشتق منها كثيرة الورد في القرآن الكريم مثل: قال، يقول، قل، وقالوا، ويقولون، وقولوا، فقد تكررت في القرآن الكريم أكثر من ألف وسبعمائة مرة ^(٢) الأمر الذي يدل على أهمية الحوار وكثرة أنواعه واتساع نطاقه. ولذلك (لا بد أن يعلم المحاور أن الحوار وسيلة نبيلة، ينبغي أن تطهر من كل معاني القسوة والغلظة والفظاظة والشدة) ^(٣). وفي ذلك تعليم للأمة وللأزواج خاصة ألا يكون الحوار فرصة لتضخيم الأخطاء وعدّها لما في ذلك من نشر العداوة وبث الكراهية بين الطرفين.

٢- إكرام الزوجة بالنصح والتوجيه: ويستفاد من هذا الموقف أيضاً أن في علاج الخطأ مندوحة للتربية ومساحة للتقويم كما أن كثرة الكلام بما لا يخدم الغرض لا تعدو أن تكون إخراجاً للمخطئ وتعميقاً للخطأ وهذا المعنى ألزم في حال الزوجة التي أمرت الشريعة بإكرامها، وهو نظير ما فعله النبي صلى الله عليه وسلم مع زوجته.

إن خطأ الفرد لا يكون أبداً سبباً في تعطيل طاقاته ولا يلزم من خطأه ذلك عدم أهليته للمشاركة في البناء، بل يجب الاستفادة منه بعد بيان الخطأ الذي وقع فيه، كذلك يجب التنبيه إلى مراعاة الشعور النفسي للمخطئ حتى لا يكون أسير خطئه بكثرة التعنيف

(١) سورة التحريم رقم الآية ٣

(٢) محمد فؤاد عبد الباقي، المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، دار الفكر ط الرابعة، ١٩٩٧م من ص ٧٠٣ إلى ص ٧٣٤

(٣) يحيى بن محمد زمزمي، الحوار آدابه وضوابطه في ضوء الكتاب والسنة، دار التربية مكة، ط الأولى ١٩٩٤. ص

ونسيان حسناته السابقة^(١). وهذه لفتة كريمة توضح أهمية مراعاة الواقعية في التعامل مع الزوجة يقول عليه الصلاة والسلام: (لا يفرك مؤمن مؤمنة إن كره منها خلقاً رضي منها آخر)^(٢) يقول السعدي: (هذا الإرشاد من النبي صلى الله عليه وسلم للزوج في معاشرته زوجته من أكبر الأسباب والدواعي إلى حسن العشرة بالمعروف، فهى المؤمن عن سوء عشرته لزوجته. والنهي عن الشيء أمر بضده، وأمره أن يلحظ ما فيها من الأخلاق الجميلة ، والأمور التي تناسبه ، وأن يجعلها في مقابلة ما كره من أخلاقها فإن الزوج إذا تأمل ما في زوجته من الأخلاق الجميلة ، والمحاسن التي يجلبها ، ونظر إلى السبب الذي دعاه إلى التضجر منها وسوء عشرتها ، رآه شيئاً واحداً أو اثنين مثلاً، وما فيها مما يجب أكثر، فإذا كان منصفاً غرض عن مساوئها لاضمحلالها في محاسنها).^(٣)

ومن مراعاة الواقعية أيضاً في قضية التعامل مع الزوجة معرفة الظروف والأحوال وتقلبات النفس التي تكون من وراء التقصير وحدوث الخلل، ويفهم ذلك من سياق الآية الكريمة (إِنْ تَتُوبَا إِلَى اللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا). وهي إشارة إلى أن الإنسان في مسيرة حياته وبالرغم من صلاحه قد يعدل عن الصواب ويصدر عنه ما يستدعي الندم والتوبة، ووجود الصلاح المنشود لا يعني عدم الوقوع في الخطأ فليس من شرط ولي الله ان يكون معصوماً من الخطأ والغلط بل ولا من الذنوب^(٤). ومن المهم ملاحظة هذا الأمر فما كل خطأ يطرأ على الحياة الزوجية يعزز بأخيه لأن هذه الأخطاء إذا اذارت جميعاً ذهبت باستقرار الأسرة.

(١) انظر مجلة البيان العدد ١٦٢ السنة ٢٠٠١

(٢) أخرجه مسلم ، كتاب الرضاع ، باب الوصية بالنساء ، رقم الحديث (١٤٦٩)

(٣) السعدي، بحجة قلوب الأبرار وقررة عيون الأخيار في شرح جوامع الأخبار، ط الرابعة، وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد - المملكة العربية السعودية، ١٤٢٣هـ، ص ١٧٥.

(٤) ابن تيمية، الاستقامة، تحقيق، د. محمد رشاد سالم الناشر جامعة الإمام محمد بن سعود - المدينة المنورة، ط

الأولى، ١٤٠٣هـ

٣- العمل على التربية بالأسماء الحسنى من خلال استحضار معانيها : إن العلم بصفات الله تعالى وأسمائه ، من أعظم ما يؤثر في الإنسان ويهذب سلوكه ، وبناءً على وقوف العبد على معاني هذه الأسماء العظيمة والتعبد بها يزداد بذلك قرباً إلى ربه، ومن الملاحظ أن قضية الإصلاح بين الزوجين في القرآن الكريم ترد فيها الإشارة إلى علم الله وخبرته -جل ثناؤه-

، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿ وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَأَبْعَثُوا حَكَمًا مِّنْ أَهْلِهِ

وَحَكَمًا مِّنْ أَهْلِهَا إِنْ يُرِيدَا إِصْلَاحًا يُوَفِّقُ اللَّهُ بَيْنَهُمَا إِنْ اللَّهُ كَانَ عَلِيمًا خَبِيرًا ﴾^(١)

فبعد الدعوة إلى الإصلاح ختمت الآية بقوله تعالى: (إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا خَبِيرًا) لبيان أن الله تعالى يعلم كيف يوفق بين المختلفين ويجمع بين المتفرقين وفيه وعيد شديد للزوجين

والحكيم إن سلكوا غير طريق الحق^(٢). وكذلك ورد قوله تعالى: ﴿ وَإِنْ أَمْرًا خَافَتْ مِنْ

بَعْلِهَا نُشُوزًا أَوْ إِعْرَاضًا فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَنْ يُصْلِحَا بَيْنَهُمَا صُلْحًا وَالصُّلْحُ خَيْرٌ

وَأَحْضَرَتِ الْأَنْفُسُ الشُّحَّ وَإِنْ تُحْسِنُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ

خَبِيرًا ﴾^(٣) يقول الطبري: (فإن الله كان بما تعلمون في أمور نساءكم، أيها الرجال، من

الإحسان إليهن والعشرة بالمعروف، والجور عليهن فيما يلزمكم لهنّ ويجب، "خبيراً"، يعني:

عالمًا خبيرًا، لا يخفي عليه منه شيء، بل هو به عالم، وله محصٍ عليكم، حتى يوفّيكم جزاءً

ذلك: المحسن منكم بإحسانه، والمسيء بإساءته)^(٤).

ومن القضايا التي لها علاقة بالرابطة الزوجية قضية الظهار الذي يعد اعتداءً على الزوجة

وغمطاً لحقها فكانت المعالجة من خلال الكفارة وعظماً للمظاهرين وزجراً لغيرهم قال

(١) سورة النساء رقم الآية ٣٥

(٢) الخازن، لباب التأويل في معاني التنزيل، دار الكتب العلمية، بيروت، ط الأولى، ١٤١٥هـ - ج ١ ص ٣٧٣

(٣) سورة النساء رقم الآية ١٢٨

(٤) أبو جعفر الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن، مصدر سابق ج ٩ ص ٢٤٨.

تعالى: ﴿ وَالَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِنْ نِسَائِهِمْ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُوا فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَتَمَاسَّ^ع
ذَلِكَ تُوَعِّظُونَ بِهِ^ع وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴾ (١) وذيلت هذه الموعدة بقوله تعالى: (وَاللَّهُ
بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ) لما في ذلك من التربية العظيمة والتنبيه إلى أن الله سبحانه وتعالى مطلع
على ما يكون من المظاهرين الذين يُخونون أنفسهم، فيعودون إلى نسائهم من غير كفارة،
وأهم مؤاخذون بالتعدي على حدود الله. (٢)

وهكذا نجد في سورة التحريم جاء التذكير بهذين الاسمين العظيمين حيث قال تعالى مخبراً
عن نبيه صلى الله عليه وسلم (قال نَبَأَنِي الْعَلِيمُ الْخَبِيرُ) وذلك استدعاءً لمعانيهما العظيمة
في مثل هذا المقام، وفي هذا السياق يقول ابن عاشور: (وإيثار وصفي العليم الخبير هنا دون
الاسم العلم لما فيهما من التذكير بما يجب أن يعلمه الناس من إحاطة الله تعالى علماً وخبراً
بكل شيء. (٣))

ولذا لما كانت رابطة الزوجية من أقوى الروابط بين اثنين من البشر فإنها تعطي شعوراً
لكل طرف بأنه شريك للآخر في كل شيء، ولذا تكثر المعاتبة في التقصير من الأمور
المشتركة بينهما وقد تكون من صغائر الأمور فتكبر بسوء الظن الذي يؤدي إلى اتساع
الخلاف بين الزوجين ، فيظن أنه مما يتعذر تلافيه ، وهو في الواقع ناشئ عن سوء التفاهم
لأسباب عارضة لا عن تباين في الطباع أو عداوة راسخة^(٤). ومن هنا يحتاج المرء إلى النظر
في قضية التعامل مع زوجه إلى هذا التوجيه الكريم. ويتضح منهج القرآن في المحافظة على
رباط الزوجية وتقوية بناء الأسرة انطلاقاً من لفت الأنظار إلى طريق الإصلاح وهو العشرة
الحسنة بما فيها من الكلمة الطيبة والمودة الحانية والعتف والتسامح.

(١) سورة المجادلة رقم الآية ٣

(٢) التفسير القرآني للقرآن، عبد الكريم يونس الخطيب، دار الفكر العربي ، القاهرة ج ٤ ص ١٩٩

(٣) ابن عاشور، التحرير والتنوير ج ٢٨ ص ٣٤٧، مصدر سابق.

(٤) محمد رشيد رضا، تفسير القرآن الحكيم، الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٩٠ م ج ٥ ص ٦٦

المبحث الرابع: الحفاظ على تماسك الأسرة من خلال التواصل الدعوي

يستفاد من واقعة التحريم جملة من التوجيهات الداعية لاستقرار الأسرة والحفاظ عليها ومن ذلك تعليم الزوجات أن لا يكثرن من مضايقة أزواجهن فإنها ربما أدت إلى الملل والكراهية فالفراق^(١)، ولذا يجب على الزوجة ضرورة مراعاة السلوك الذي ينتج عن الغيرة ومحاولة ضبطه لأن الاسترسال فيه قد يكون سبباً مهدداً للرابطة الزوجية.

وفي ذات السياق الداعي لاستقرار الأسرة نجد التوجيه الكريم المتمثل في قوله

تعالى: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا قُوًا أَنفُسِكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا

مَلَكَةٌ غِلَظٌ شِدَادٌ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾^(٢)، هذا النص

يكشف عن تدبير حكيم يزيد من التماسك الأسري حال تطبيقه والأخذ به، انطلاقاً من بسط القيم الفاضلة بين أفراد الأسرة، ولا يخفى أن ورود هذا النداء عقب موعظة نساء النبي صلى الله عليه وسلم فيه إشارة إلى أهمية الاقتداء بهديه صلى الله عليه وسلم في شأن الأسرة ورعايتها، وقوله تعالى: (قُوا أَنفُسَكُمْ) يفيد التكامل في هذه التربية وذلك بإصلاح رب الأسرة لنفسه أولاً حتى يجد توجيهه موقعا لمن هم تحت رعايته ومسؤوليته.

إن الآية الكريمة تنبه إلى ضرورة قيام الرجل بمسؤوليته تجاه أسرته بإلزامها أمر الله تعالى، والعمل على وقاية الأهل والأولاد، وذلك بتأديبهم وتعليمهم، ولا يسلم العبد إلا إذا قام بما أمر الله به في نفسه، وفيما يدخل في ولايته من الزوجات والأولاد وغيرهم ممن هم تحت رعايته وتصرفه^(٣)، ولا شك أن القيام بهذا التوجيه وتطبيقه يؤدي إلى إيجاد بيئة إيمانية تتربى فيها الزوجة والأولاد وتروض الأموال في سبيل الله وخدمة الدعوة إليه^(٤).

(١) ابن عاشور، التحرير والتنوير مصدر سابق ج ٢٨ ص ٣٤٥

(٢) سورة التحريم رقم الآية ٦

(٣) السعدي، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، ص ٨٧٤ مصدر سابق

(٤) محمد زين الهادي العرماني، مفهوم الأسرة في الإسلام، مصدر سابق ص ١١

ولا يبعد أن يكون التفريط في هذا التوجيه سبباً في تفكك الأسرة وفقدان التوافق والتآلف بين أفرادها. وقد ورد التحذير من أن يكون استبقاء الود بين الأزواج والأولاد مانعاً من إسداء النصح لهم قال تعالى: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا بِتٍ مِّنْ أَزْوَاجِكُمْ وَأَوْلَادِكُمْ عَدُوًّا لَّكُمْ فَاحْذَرُوهُمْ^(١)﴾ وفي هذا لفت للانتباه وتحذير قوي من العليم الخبير للمؤمنين كافة من أن ينقلب هؤلاء إلى عدو لهم بدلاً من أن يكونوا عوناً وسنداً في أمور الدين والحياة. (٢) وقد احتفى القرآن الكريم بهذه القضية من خلال الإشارة إليها في أكثر من آية يقول تعالى: ﴿وَأذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِسْمَاعِيلَ إِنَّهُ كَانَ صَادِقَ الْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولًا نَّبِيًّا وَكَانَ يَأْمُرُ أَهْلَهُ بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ وَكَانَ عِنْدَ رَبِّهِ مَرْضِيًّا^(٣)﴾ فإسماعيل عليه السلام استحق الثناء بسبب امتثاله لمراضي ربه واجتهاده فيما يرضيه، حيث كان مقيماً لأمر الله في أهله فيأمرهم بالصلاة المتضمنة للإخلاص للمعبود وبالزكاة المتضمنة للإحسان للعبيد، وهكذا كمل نفسه وكمل غيره وخصوصاً أهله لأنهم أحق بدعوته من غيرهم^(٤) وقد جاء الأمر كذلك لسيدنا محمد صلى الله عليه وسلم في قوله تعالى: ﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا لَا نَسْأَلُكَ رِزْقًا نَحْنُ نَرْزُقُكَ وَالْعَاقِبَةُ لِلنَّقْوَى^(٥)﴾ أي: استنقذهم من عذاب الله بإقام الصلاة،^(٦).

(١) سورة التغابن رقم الآية ١٤

(٢) محمد زين الهادي العرماني ، مفهوم الأسرة في الإسلام، مصدر سابق ص ١١

(٣) سورة مريم رقم الآيات ٥٤ و٥٥

(٤) السعدي، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، مصدر سابق ص ٤٩٦

(٥) سورة طه رقم الآية ١٣٢

(٦) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، دار طيبة للنشر والتوزيع، ط الثانية ١٤٢٠ هـ ج ٥ ص ٣٢٧.

ولعظم أثر التربية الروحية والإيمانية في الأهل والأولاد يأتي توجيه النبي صلى الله عليه وسلم للأمة بضرورة الاهتمام بهذه القضية لما في ذلك من الخير الكثير الذي يعود على الأسرة والمجتمع، عن أبي سليمان مالك بن الحويرث قال: أتينا النبي صلى الله عليه وسلم ونحن شعبة متقاربون فأقمنا عنده عشرين ليلة فظن أنا اشتقنا أهلنا وسألنا عمن تركنا في أهلنا فأخبرناه وكان رقيقاً رحيماً فقال: (ارجعوا إلى أهليكم فعلموهم ومروهم وصلوا كما رأيتموني أصلي وإذا حضرت الصلاة فليؤذن لكم أحدكم ثم ليؤمكم أكبركم)^(١).

ومجمل هذا التوجيه يفيد أن الأسرة المسلمة صاحبة رسالة تحمل هم أفرادها بجانب حملها هم المجتمع وإصلاحه انطلاقاً من توسيع دائرة الدعوة للفضائل ومكارم الأخلاق، ويتأكد هذا المفهوم من خلال ما أمر الله سبحانه وتعالى به نساء النبي صلى الله عليه وسلم أن يذكرن ما يتلى في بيوتهن من الكتاب والسنة، قال تعالى: (وَأذْكُرْنَ مَا يُتْلَى فِي بُيُوتِكُنَّ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ وَالْحِكْمَةِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ لَطِيفًا خَبِيرًا)^(٢)، ولا شك أن نساء الأمة تبع لنساء النبي صلى الله عليه وسلم في ذلك^(٣).

إن ربط الأخلاق الفاضلة بقضايا الأسرة السلوكية لا بد أن ينشأ ويؤصل كقضية عقائدية دينية تعبدية وهذا يعني التمسك بالدين كمرجعية ثابتة للقيم والمفاهيم والأخلاق، وانطلاقاً من هذا المفهوم فإن الأمة الإسلامية تملك رصيماً عظيماً في مواجهة تحديات الواقع الحضاري الذي تعيشه^(٤).

(١) أخرجه البخاري، كتاب الأدب، باب الساعي على المسكين رقم الحديث (٥٦٦٢)

(٢) سورة الأحزاب رقم الآية ٣٤.

(٣) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، مصدر سابق ج ٦ ص ٤٠٨ مصدر سابق.

(٤) فاطمة عمر نصيف، الأسرة المسلمة في زمن العولمة، ط الأولى ١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦م ص ٧٣

الخاتمة

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعد..

فإن الله تبارك وتعالى يقول: ﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا﴾ (١) فالقرآن الكريم كتاب هداية وإصلاح وهو أفضل ما أنفق فيه المرء وقته وجهده، ومن توفيق الله أن يكون العبد مشغولاً بكلام ربه تلاوة ومدارسة، وتأسيساً على هذا أحببت أن أقف مع سورة التحريم إبرازاً لتلك المعالم القرآنية في تعزيز الأخلاق الكريمة للأسرة المسلمة من خلال ما جاء فيها من الدعوة إلى تربية الأولاد والزوجات وحملهم على ما يحبه الله ويرضاه إلى جانب الدعوة إلى حسن معاشره الزوج وتقوية الرابطة الزوجية.

ومن خلال هذه الدراسة أخلص إلى أبرز النتائج التي يمكن صياغتها وفق الترتيب التالي:-

- ١- من الحكمة اتخاذ التدابير التي تسد باب التزاع أو تؤدي إلى تحجيمه بين الزوجين لتلا يتطور الأمر إلى شقاق يذهب بالمودة والرحمة
- ٢- أن اتقاء تبعات غيره الزوجة يجب ألا يفوت به حق شرعي بمعنى أنها إذا كانت تهضم حقاً من الحقوق لأحد طرفي الحياة الزوجية أو أحد أفراد الأسرة فليس من الواجب مراعاتها
- ٣- أن في علاج الخطأ مندوحة للتربية ومساحة للتقويم كما أن كثرة الكلام بما لا يخدم الغرض لا تعدو أن تكون إخراجاً للمخطئ وتعميقاً للخطأ وهذا المعنى ألزم في حال الزوجة التي أمرت الشريعة بإكرامها.

(١) سورة الإسراء رقم الآية ٩

- ٤- إن خطأ الفرد لا يكون أبداً سبباً في تعطيل طاقاته ولا يلزم من خطئه ذلك عدم أهليته للمشاركة في البناء، بل يجب الاستفادة منه بعد بيان الخطأ الذي وقع فيه.
- ٥- من مراعاة الواقعية أيضاً في قضية التعامل مع الزوجة معرفة الظروف والأحوال وتقلبات النفس التي تكون من وراء التقصير وحدوث الخلل.
- ٦- إن العلم بصفات الله وأسمائه تعالى، من أعظم ما يؤثر في الإنسان ويهذب سلوكه، وبناءً على وقوف العبد على معاني هذه الاسماء العظيمة والتعبد بها يزداد بذلك قرباً إلى ربه.
- ٧- إن التزام تلك المعالم القرآنية يؤدي إلى إيجاد بيئة إيمانية تنربى فيها الزوجة والأولاد وتروض الأموال في سبيل الله وخدمة الدعوة إليه.

التوصيات

- ١- الاهتمام بالقرآن الكريم حفظاً ومدارسة باعتباره يمثل المنهج الصحيح في التعامل مع مشكلات الأسرة
- ٢- الاهتمام بتربية أفراد الأسرة امثالاً لدعوة القرآن الكريم لما في ذلك من الخير الذي يعود على الأسرة والمجتمع
- ٣- الوقوف على هدي النبي صلى الله عليه وسلم في الأمور المتعلقة بشأن الأسرة وذلك من واقع تعامله صلى الله عليه وسلم مع زوجاته.
- ٤- تحجيم الأخطاء التي تقع داخل الأسرة والعمل على بث القيم الفاضلة وتعزيزها
- ٥- إبراز قيمة القدوة الحسنة من خلال اتصاف راعي الأسرة بالأخلاق الفاضلة
- ٦- الاهتمام بالحوار في حل مشكلات الأسرة
- ٧- مراعاة أحوال أفراد الأسرة العقلية والعاطفية ومراعاة مستوياتهم الإيمانية والعلمية والتوازن في استخدام الأساليب الدعوية وإتقان استخدامها وحذقها.

قائمة المصادر والمراجع

القرآن الكريم

١. أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب الماوردي البصري، النكت والعيون، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان
٢. أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي، تفسير القرآن العظيم، دار طيبة للنشر والتوزيع الطبعة، الثانية ١٤٢٠هـ
٣. أبو عبد الله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة الجعفي البخاري، الجامع المسند الصحيح
٤. أبو علي أحمد بن محمد بن يعقوب مسكويه، تهذيب الأخلاق، دار الكتب العربية، بيروت، ط ٢، ١٩٨١م
٥. أبو محمد الحسين بن مسعود بن محمد بن الفراء البغوي الشافعي، معالم التنزيل في تفسير القرآن، دار إحياء التراث العربي - بيروت الطبعة: الأولى، ١٤٢٠هـ
٦. أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري، غريب القرآن، دار الكتب العلمية ١٣٩٨ هـ ١٩٧٨م
٧. أحمد بن مصطفى المراغي، معالم التنزيل في تفسير القرآن، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر الطبعة الأولى - ١٩٤٦م
٨. أمين نعمان الصلاحي، من وسائل القرآن في إصلاح المجتمع، كتاب الأمة، العدد (١٢٧)، قطر، ١٤٢٩هـ
٩. التفسير القرآني للقرآن، عبد الكريم يونس الخطيب، دار الفكر العربي، القاهرة
١٠. الجامع الصحيح المسمى صحيح مسلم، أبو الحسين مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيري النيسابوري

١١. جلال الدين أبو عبدالله محمد بن سعدالدين بن عمر القزويني، الإيضاح في علوم البلاغة، الطبعة الرابعة، ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م، دار إحياء العلوم ، بيروت .
١٢. عادل بن محمد أبو العلاء، مصابيح الدرر في تناسب آيات القرآن الكريم والسور، الناشر الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة.
١٣. عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي ، أسرار ترتيب القرآن دار الفضيلة للنشر والتوزيع
١٤. عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي، بهجة قلوب الأبرار وقرة عيون الأخيار في شرح جوامع الأخبار، الطبعة الرابعة، وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد - المملكة العربية السعودية ، ١٤٢٣هـ -
١٥. عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى ١٤٢٠هـ -
١٦. عصام منصور، المدخل إلى علم الاجتماع، دار الخليج، عمان، الطبعة الأولى، ٢٠٠٨م
١٧. علاء الدين علي بن محمد بن إبراهيم بن عمر الشحي أبو الحسن، المعروف بالخازن، لباب التأويل في معاني التنزيل ،دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٥هـ -
١٨. علي بن محمد بن علي الزين الشريف الجرجاني ،التعريفات، دار الكتاب العربي، بيروت الطبعة الأولى ، ١٤٠٥
١٩. فاطمة عمر نصيف، الأسرة المسلمة في زمن العولمة، الطبعة الأولى ١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦م
٢٠. مجلة البيان، تصدر عن المنتدى الإسلامي، لندن.

٢١. محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي، التحرير والتنوير، الدار التونسية، ١٩٨٤.
٢٢. محمد الغزالي، مشكلات في طريق الحياة الإسلامية، دار نهضة مصر، الطبعة الأولى
٢٣. محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى، ٢٠٠٠م
٢٤. محمد بن مكرم بن علي، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعي الإفريقي، لسان العرب، دار صادر، بيروت، الطبعة الأولى
٢٥. محمد رشيد بن علي رضا بن محمد شمس الدين بن محمد بهاء الدين بن منلا علي خليفة القلموني الحسيني، تفسير القرآن الحكيم، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٠م
٢٦. محمد زين الهادي العرماني، مفهوم الأسرة في الإسلام، هيئة علماء السودان - سلسلة الدراسات الفكرية ٢٠٠٨م
٢٧. محمد فؤاد عبد الباقي، المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، دار الفكر الطبعة الرابعة ١٩٩٧م،
٢٨. الندوة العالمية للشباب الإسلامي، أصول الحوار، الندوة العالمية للشباب الإسلامي، الرياض ١٤٠٨هـ
٢٩. يحيى بن محمد زمزمي، الحوار آدابه وضوابطه في ضوء الكتاب والسنة، دار التربية مكة، الطبعة الأولى ١٩٩٤.